

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

البعد الديني في شعر المديح النبوي وأثره الفني والجمالي في القصيدة

The religious dimension in the poetry of the Prophet's praise
and its artistic and aesthetic impact on the poem

لخضر شارف^{1*} ، سامية جباري²

¹ كلية العلوم الإسلامية " الخروبة " جامعة الجزائر 1 ، chareflakhdar1@gmail.com

² كلية العلوم الإسلامية " الخروبة " جامعة الجزائر 1

تاريخ النشر: 2022/09/01

تاريخ القبول: 2022 /08/12

تاريخ ارسال المقال: 2022/06/01

* المؤلف المرسل

الملخص:

إنَّ شعر المديح النبوي شعرٌ مفعَّمٌ بروح المحبَّة الصادقة للنبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، شعرٌ له مميَّزاته وخصائصه الفنيَّة والجماليَّة، ولأنَّه متعلِّقٌ بالرَّسول صَلَّى الله عليه وسلَّم وموضوعه ديني في غالبه كان لابدَّ للأبعاد الدينيَّة والقيم الإيمانيَّة أن تبرز معالمها وتتجلَّى تأثيراتها في هذا اللون من الشَّعر، خاصَّةً من الجانب الفني والجمالي فكانت هذه القيم حاضنةً مثلى وسبيلاً لسموِّ المعاني وروعة البيان في قصائد المديح ، وهذه الدِّراسة هدفها الوقوف على مدى تأثير هذه القيم في هذا اللون من الشَّعر.

الكلمات المفتاحيَّة : المديح النبوي ، البعد الديني ، حسن بن ثابت ، البوصيري .

Abstract

The poetry of praising the prophet ,peace be upon him, is an outcome of sincere and faithful love.This genre of poetry has its own aesthetic characteristics,and because of its relation to the prophet ,peace be upon him, and its theme is mostly religious ,we find the religious values so shining on it , especially from the aesthetic side.These values are considered to be as an ideal incubator by which the splendor of rhetoric and meanings transcends the ladder of praising poems.The main objective of this study is to stand on the impact of these values on this genre of poetry.

Keywords: Prophet praise , the religious dimension , Hassan Ibn Thabet , Elbousayri.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على الصادق الوعد الأمين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فإن الشعر إدراك جمالي للواقع يصوره الشاعر من خلال تخيُّر ألفاظه وكلماته وتراكيبه ، فهو صورة جميلة من صور الكلام ، جمال يخلب ألباب السامعين ويستحوذ على عواطفهم وأحاسيسهم ووجدانهم فيسيح بهم في عالم فسيح من الخيال ، ويستحوذ على ألبابهم فيحفظونه فيتذكرون معانيه ، ومما لا شك فيه أن الشعر العربي وجداني إلا ما نزر وإن كانت التعاريف للشعر الوجداني متعددة بل ومختلفة في كثير من الأحيان سواء من حيث المدلول أو من حيث الأغراض ، إلا أنها تجمع على قيمته الفنية الجمالية وتحصي له أغراضا شعرية كثيرة أبرزها المديح والذي يعد من أكثر فنون الشعر إبداعا لبواعثه الفنية والنفعية والتي استدرت قرائح الشعراء وفتقت طاقاتهم الإبداعية.

إن المديح في لغة العرب من المدح وهو ضد الهجاء وهو حسن الثناء، وجمعه مدائح، وأما في الاصطلاح: فالمديح النبوي هو شعر يهتم بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أوصافه وصفاته الخلقية والخلقية، وبيان محبته والشوق إليه.

لقد أخذ هذا اللون من الشعر بُعدا دينيا وتلحف بلحاف العقيدة وتعلق بسيرة وذات خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فكان الفرق بينه وبين غيره من أضرب الشعر أنه في غالبه لا ينبع إلا عن قلوب مؤمنة صادقة في قولها ، مخلصه في نيتها ، هامت في محبة النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما وتكريما وتبجيلا فصار المدح عندها عبادة وقربى من الله عز وجل، وساحت أفكارها وجادت قرائحها شعرا متكاملا بأبعاده الإيمانية والتربوية والاجتماعية من جهة، وبقيمه الفنية والجمالية من جهة أخرى، فجاءت هذه الدراسة موسومة بالعنوان الآتي :

" البعد الديني في شعر المديح النبوي وأثره الفني والجمالي في القصيدة" .

ومن هنا وانطلاقا من هذا العنوان فإنه تطرح الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى استطاعت هذه القيم الإيمانية والأبعاد الدينية التأثير في بيان القصيدة وجمالها ورقتها ؟

وماهي أهم المميزات الدينية التي أعطت لقصيدة المديح النبوي تلك اللمسات الفنية والجمالية ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لزاما الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة وصفية لبعض قصائد المديح النبوي، وتحليلية من خلال بيان أثر اللمسة الدينية في جمالية هذا النوع من الشعر.

إن من الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة هو الوقوف على مكان الجمال عند شعراء المديح النبوي، سواء أولئك الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهلوا من معين النبوة من جهة وشربوا أيضا من النبع الصافي للغة العربية من جهة أخرى، أو من أولئك الذين جاؤوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم على اختلاف عصورهم أزمنتهم.

فجاءت الخطة على النحو الآتي:

المبحث الأول : شعراء المديح النبوي بين الكفر والإيمان.

المطلب الأول : الشعراء غير المسلمين.

المطلب الثاني : الشعراء المسلمون.

المبحث الثاني: العقيدة وأثرها في جمالية قصيدة المديح.

المطلب الأول: قصيدة المديح بين قوة البلاغة وسلامة المعتقد.

المطلب الثاني: جوانب تأثير العقيدة الإسلامية في قصائد المديح النبوي.

وختم هذا البحث بالوقوف على أهم النتائج التي وقف عليها الباحث واستخلصها من خلال الجمال الفني والأدبي في شعر المديح النبوي.

المبحث الأول: شعراء المديح النبوي بين الكفر والإيمان.

إن المديح النبوي شعر وجداني⁽¹⁾ جاء للتعبير عن عواطف دينية، وهو من الفنون الأدبية الرفيعة التي شغلت حيزا هاما في النظم العربي قديما وحديثا ، وقد كانت إرهابات ظهوره في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن من مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم وعاصروه كانوا على صنفين : صنف آمن برسالة الله عليه وسلم، وصنف لم يؤمن ولكنه مدح وإن لم يكن الباعث من مدحه العقيدة والإسلام. وبنبوتهم صلى الله عليه وسلم، فنافحوا عن الدين الجديد وعن النبي الكريم حبا وكرامة وفداء ، وصنف آخر عاصروا الإسلام وعاشوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا برسالته، ومدحوه أيضا ولكن لم يكن مدحهم من باعث ديني خالص بل تعددت بواعثه خوفا أو طمعا أو حمية ونسبا.

المطلب الأول : الشعراء الغير مسلمين.

إن هؤلاء الشعراء عاصروا الإسلام وعاشوا النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يؤمنوا به وبرسالته، ومدحوه أيضا ولم يكن مدحهم من باعث ديني خالص، بل تعددت بواعثه، فجاءت حمية وعاطفة أبوة وحنان كأبي طالب، وخوفا ككعب بن زهير والذي أسلم فيما بعد قصيدته، وحتى قصيدة الأعشى فالذي يظهر أن صاحبها لم يقلها عن صدق بدليل أنه أغري بالمال فصد عن الإسلام.

إن من أقدم قصائد المديح لامية أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والتي مدحه بها لما تألبت قريش على بني هاشم وحاصروهم وزاحموهم وقاطعوهم وأخرجوهم إلى الشعب، والقصيدة مطلعها:

خليلي ما أذني لأول عاذل ** بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي إن الرأي ليس بشركة ** ولا نهنه عند الأمور البلابل⁽²⁾

ومن أجل ما جاء فيها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ** فهم عنده في نعمة وفواضل

ومن أقدم النصوص أيضا في هذا الشأن قصيدة الأعشى والتي مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ** وعادك ما عاد السليم المسهدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما ** تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها يقول مخاطبا ناقته:

فأليست لا أرثي لها من كلاله ** ولا من حفى حتى تزور محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ** ترجي وتلقي من فواضله يدا

نبي يرى مالا ترون وذكره ** أغار لعمري في البلاد وأنجدا (3).

لقد كانت هذه القصيدة محاولة من صاحبها أراد من خلالها التودد والتقرب من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقلها صادق النية بدليل أن قريشا استهوته بالمال والإبل فانصرف عن الإسلام (4).

ومثل قصيدة الأعشى بردة كعب بن زهير رضي الله عنه، والتي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ** متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ** إلا أغن غضيض الطرف مكحول

إلى أن يقول فيها:

أنبت أن رسول الله أوعدني ** والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ ** قرآن فيها مواعيز وتفصيل (5).

أما هذه القصيدة فقد طبقت شهرتها الآفاق، واهتم بها المتقدمون والمتأخرون (6)، ولاقت من الشعراء ما لم يلقه غيرها من القصائد تخميسا وتشطيرا ومعارضة، والأكثر من هذا فرح النبي صلى الله عليه وسلم بها، وإهداءه كعبا بردته الشريفة مقابلها، ومع هذا فإن جلها لم يكن من المديح، وقالها كعب قبل إسلامه، وهذا سبب تصنيفها مع غير شعراء الإسلام لأن كعبا لم يكن قد أسلم حين قالها بل قالها خوفا من الموت وقبل لقاء النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام بين يديه، فهي وليدة خوف ورهبة وهذا ما تجمع عليه كتب السير والأخبار والشعر والأدب (7).

إن هاته القصائد الثلاث، لهؤلاء الفحول من الشعراء، جاءت قوية المبني والمعنى، ولكنها صدرت من قلوب خاوية الإيمان، مضطربة العقيدة، أما الأعشى فقد صُد عن سبيل الهدى بالنوق والإبل، وأما كعب فقد سكنه الرعب وملأ الخوف جوانحه، ولم يكن له ملجأ ولا منجاة إلا بالإسلام، وإن كان حسن إسلامه رضي الله عنه فيما بعد، ولكن ما يهمنا هو زمن إنشاء القصيدة وقولها.

إن كلتا القصيدتين لكعب رضي الله عنه أو الأعشى لا نجدهما تخرجان عن الطراز القديم للقصيدة والشعر آنذاك، فهما تفتقران في أغلبهما إلى الروح الإسلامية والمعاني الإيمانية، فقصيدته كعب مثلا والتي قالها قبل أن يسلم، جاءت في نحو ستين بيتا ثلاثاها في ذكر محبوبته وغدرها به، ثم ذكر ارتحاله في الصحراء ووصف ناقته، ولم يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلا في بيتها الأربعين.

وأما أبوطالب فما قال قصيدته طمعا ولا فرقا، ولكنه قالها حمية وعاطفة وحبا للنبي صلى الله عليه وسلم، حمية لبني هاشم بعد حصار قريش لهم، وحبا للنبي صلى الله عليه وسلم حب الأب لابنه وعاطفة الوالد لولده، وعلى ما قيل في إسلام أبي طالب من عدمه فإن لاميته تعد من عيون الشعر العربي، وقد تجلت فيها مظاهر الحنو والعاطفة الصادقة الجياشة المفعمة بالتعظيم والتوقير لجناب النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن القصيدة مصبوغة بالصبغة الدينية وكأن قائلها من كبار الصحابة وأوائل المسلمين، وحتى من قالوا بإسلام أبي طالب فإنهم استأنسوا بقصائده

وأخضعوا هذه المسألة للشعر والأدب لإثباتها، وعلى كل حال فقد عد كثير من النقاد لامية أبي طالب من أروع قصائد المديح النبوي، بل إن ابن كثير اعتبرها أفحل من المعلقات وأبلغ في المعنى (8).

وعلى هذا فيمكن القول أن حب أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم، وصدق نيته في الدفاع عنه وعن نصرته دينه، وربما إسلامه على أحد القولين، عوامل كلها ساهمت في أن تبلغ لاميته مبلغا عظيما وترتقي مرتقى سامقا في سماء اللغة والأدب (9).

المطلب الثاني : الشعراء المسلمون.

وأما شعراء الإسلام فقد ملأ الإيمان جوانحهم، وأشربت قلوبهم العقيدة السليمة، ونهلوا من معين النبوة الصافي، فتأثروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأخلاقه وشمائله، وذابت أرواحهم وأفئدتهم في حب نبيهم حتى صار مدحه ديناً، والدفاع عنه عقيدة، فارتقت هذه القيم الدينية والنفسية بأشعارهم وقصائدهم، وحلقت بها عاليا وبوأها منزلة سامية ومكانة عالية بين الشعر والشعراء.

إن دراسة كالتى بين أيدينا لا يمكنها استيفاء جل هؤلاء الفحول ولا حتى شطرا منهم، فكان لابد من الاكتفاء بعينة أو نموذج منهم فاخترت من شعراء عصر النبوة حسان بن ثابت رضي الله عنه، وممن جاءت بعدهم رائد المدرسة الصوفية في شعر المديح الامام البوصيري رحمه الله.

أما حسان بن ثابت رضي الله عنه فهو شاعر الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، والمنافع عن الدين والعقيدة، والمبرز لمثلها وقيمها وفضائل نبيها عليه الصلاة والسلام. إن من أقوى قصائد حسان رضي الله عنه عينيته التي أفحم بها وفد بني تميم لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقام شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال قصيدته التي مطلعها:

نحن الكرام فلا حي يعاديننا ** منا الملوك وفينا يقسم الربع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم ** عند النهاب وفضل العز يتبع

فرد عليه حسان بقصيدته والتي مطلعها:

إن الذوائب من فھر وإخوتهم ** قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريره ** تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

إلى أن يقول رضي الله عنه:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ** إذا تفاوتت الأهواء والشيع

أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره ** فيما يحب لسان حائك صنع (10).

ومن جميل شعر حسان رضي الله عنه همزيته المفعمة بروح المحبة والإجلال والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء ** إلى عذراء منزلها جواء

إلى أن يقول:

فمن يهجو رسول الله منكم ** ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي ** لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه ** وبحري لا تكدره الدلاء (11) .

وأما المدرسة الصوفية فروحانياتها التي تحرك المشاعر والوجدان، كانت الحاضنة المثلى لشعر المديح النبوي، وفيها بدأت تبرز وتتبلور معالم المدرسة الصوفية بأدبائها وشعرائها والتي عرفت به واشتهر بها وبلغ فيها هذا اللون من الشعر مبلغا عظيما ومكانة رفيعة خاصة في القرن السابع الهجري .

يقول الدكتور زكي مبارك : "إن هذا الفن ازدهر ونشأ ف البيئات الصوفية، ولم يلق الاهتمام من غير الصوفية إلا القليل .." (12) ، وقال رحمه الله : " .. المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف .." (13) .

وفي هذه المدرسة أطل أستاذ هذا الفن ورائده بلا منازع في عصره وفي العصور التي جاءت من بعده ، إنه شرف الدين البوصيري، والذي انتهى إليه هذا الفن، فكانت قصائده أنموذجا فريدا ومثالا يقتدى به ويحتذى حذوه .
لقد أتعب البوصيري من جاء بعده من شعراء المديح، وكانت غالب قصائد المديح بعده على نسق قصائده أو معارضة وشارحة لها، كما أن قصيدته البردة تعتبر من أروع المدائح التي قيلت في المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد تلتقتها الأمة بالقبول الحسن، وحتى الذين عارضوها عقديا أذعنوا لبلاغتها وبيائها، حتى قيل إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي قاطبة، وأوسعها انتشارا بين العامة والخاصة لما حوته لطائف فنية وجمالية، فنفذت وسرت بسحرها في نفوس المسلمين، وانتشرت في مختلف الأقطار الإسلامية.

المبحث الثاني: العقيدة وأثرها في جمالية قصيدة المديح.

لقد كان للعقيدة الإسلامية الأثر البالغ في تهذيب نفوس شعراء المديح وتركيتها ، ومن ثم الارتقاء بأشعارهم وزيادة بيائها وجمالها، واتجهت بهم إلى تهذيب الذوق والرقعة في النسج والدقة في التصوير .

إن الحس المرهف ومتانة العقيدة وروح القرآن وقوة العاطفة مع صدقها، فضلا عن جزالة الشعر وقوة البيان وجمال التعبير، عوامل مكنت البوصيري من التربع على عرش المديح وجعلت من شعره نموذجا ناجحا للعاطفة الدينية وتأثيرها في توليد المعاني وتهذيب القرائح وإيقاد شعلة البيان واستدراار اللمسات الفنية والجمالية في نفوس الشعراء .
ولو قارنا بين البوصيري مثالا وبين فحول شعراء المديح وخاصة من كانوا في الصدر الأول من الإسلام والنبع الصافي في اللغة والفصاحة والبيان ككعب أو حسان رضي الله عنهما، لوجدنا لهؤلاء قصائد سامية وكبيرة في غير ما شعر المديح، أما البوصيري فبلاغة شعره وفصاحته وعذوبته لم تكن إلا في قصائد المديح، وحتى غيره ممن كان قبله أو جاء بعده فإن قصائدهم في المديح تبوأَت الصدر في أشعارهم وقصائدهم.

المطلب الأول : قصيدة المديح بين قوة البلاغة وصحة المعتقد.

لقد كان الشاعر العربي قديما . وعلى الرغم من رسوخ قدمه في البلاغة والبيان . إلا أن مدحه كان في معظمه تكسبا ورغبة في العطاء، وحتى الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم عند ظهور الإسلام ممن لم يسلموا كأبي طالب أو الأعشى أو كعب الذي أسلم فيما بعد، فهؤلاء مدحوا حمية أو رهبة أو سبيلا إلى النجاة، أما حسان وابن راوحة رضي الله عنهما ومن عاصرهما أو جاء بعدما ممن حسن إسلامهم فأولئك مدحوا حبا ورغبة وإجلالا

وتوقيرا، ومدحوا بعد أن صقلهم وهذبهم القرآن وسرى في دمائهم وعروقهم، ويمكن وانطلاقا مما مضى أن نصنف شعراء المديح النبوي صنفين اثنين:

صنف ملكوا ناصية البلاغة وانتهت إليهم المعرفة بضروب الشعر وأفانينه ولكن لم يلامس الإيمان قلوبهم ولم يحرك القرآن أفئدتهم، ولا ذاقوا شيئا في محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم من النوازع الروحية والعواطف الدينية ما يفتق قرائحهم ويصقل شاعريتهم .

وصنف ثان جمع بين قوة الدين والمحبة والعقيدة وبين قوة المعنى وروعة البيان، فامتزج في مدائحهم العقيدة الصحيحة باللغة السليمة، والمحبة الصادقة العظيمة بالمعاني السامية والأسلوب البديع.

المطلب الثاني : جوانب تأثير العقيدة الإسلامية في قصائد المديح النبوي.

1. الجمع بين سلامة العقيدة وقوة اللغة وجمال البيان .

لقد استطاع هذا الصنف من الشعراء إخضاع الشعر للمعتقد دون الإخلال بقيمه الفنية والجمالية، واستطاعت المحبة النبوية أن تلامس مكامن الحسن والإبداع في قرائحهم، فجاءت قصائدهم تسيل عذوبة وتنساب رقة وجمالا. إن مكن الجمال في شعر المديح النبوي ومن خلال ما مضى هو في الجمع بين صدق العاطفة والمحبة وصحة المعتقد، وبين بلاغة الكلمة وقوة المعنى وجزالة القصيدة، في جو روحاني بديع، وقالب جمالي مقنع وممتع، وذوق فني أدبي خالص ،فهو شعر ينبع من الروح والوجدان، وبمشاعر فياضة وخيال بعيد.

2. العناية الإلهية:

ولقد أضاف البوصيري رحمه الله عنصرا آخر أعطى لشعر المديح النبوي بعدا جماليا، وقيمة فنية وتوجيها بلاغيا، ألا وهو العناية الربانية والتوفيق الإلهي اللذان فتقتا لسان الشاعر بما يليق بالجناب النبوي ومكنته من استخراج جواهر النظم وملامسة والوقوف على أسمى المعاني، يقول رحمه الله:

قل للمحاول شأوا في مدائحه ** هي المواهب لم أشدد لها زمي
ولا تقل لي بما نلت جيدها ** فما يقال لفضل الله ذا بكم (14).

فالبوصيري رحمه الله يشير إلى أن الذي قاله من مدح ونظم في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس من قوة فكر وبيان، ولا شدة قريحة وجودة لسان، وإنما هو هداية و توفيق الله عز وجل، وكأنه يستأنس بحسان بن ثابت رضي الله عنه حين قال عن تأييد الله له ولدفاعه عن رسول الله :

وقال الله قد يسرت جندا ** هم الأنصار عرضتها اللقاء
فمن يهجو رسول الله منكم ** ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ** وروح القدس ليس له كفاء (15).

فهذا التأييد والإرشاد والتوفيق من الله عز وجل لحسان وشعره يلازمه مادام شعره دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام.

وقد ثبت أيضا في السنة ما يؤيد هذا المعنى ويقويه، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرسل إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وطلب منه هجاء قريش فهجاهم ولكن هجأؤه لم يكن كما أراد عليه الصلاة والسلام،

فأرسل إلى كعب بن مالك رضي الله عنه فكان شعره على منوال ابن رواحة، وفي الثالثة أرسل عليه الصلاة والسلام إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه فوفى وشفى واشتفى⁽¹⁶⁾.

إن العبرة من هذه القصة وهذا الحديث أن حسان بن ثابت رضي الله عنه فضلا عن كونه ملك ناصية البلاغة وقوة البيان، إلا أنه أيضا امتاز عن صاحبيه بمعية الله وتأييده وتوفيقه له، وهذا ما قد لا يتحقق لكثير من شعراء المديح النبوي، و إلى هذا أشار البوصيري رحمه الله.

3. الأنس والمناجاة:

ويضيف البوصيري عنصرا آخر وخاصية جديدة ينماز بها شعر المديح عن غيره، إنها الأنس والتلذذ بذكره ومدحه عليه الصلاة والسلام، يقول رحمه الله:

ومن الفوز أن أثبك شكوى ** هي شكوى إليك وهي اقتضاء
ضمنتها مدائح مستطاب ** فيك منها المديح والإصغاء
قلما حاولت مديحك إلا ** ساعدتها ميم ودال وحاء
فأثب خاطرا يلذ له مد ** حك علما بأنه اللألاء⁽¹⁷⁾.

إن البوصيري رحمه الله يرى أن مدح النبي عليه الصلاة والسلام فوق كونه عبادة ووسيلة لنيل رضوان الله ومرضاته، يراه غاية عظمى ولذة كبرى، يطمئن لها القلب وتسكن بها الجوارح وتسلو بها النفس وتأنس بها الروح، يراه نشوة تنساب معها القوافي وتسيح بها الأفكار والقرائح، وليس من رأى كمن سمع وليس من ذاق كمن لم يذق وليس الخبر كالعيان.

خاتمة:

لقد اجتمع في شعر المديح النبوي من العناصر الفنية والجمالية، والأبعاد والقيم الدينية والروحية، والخلجات النفسية والوجدانية ما لم يجتمع في غيره من ضروب الشعر وأفانيه.

إن هذه القيم شكلت حقلا خصبا ومجالا فسيحا لشعراء المديح، فسطعت قصائدهم وسمت في سماء الشعر والأدب، واستمدت شرفها من شرف ممدوحها صلى الله عليه وسلم، ولقد حاولت هذه الدراسة بيان البعد الديني في شعر المديح النبوي وأثره في الجانب الفني الجمالي فكانت هذه أهم نتائجها:

- 1 - الروح الدينية والعقيدة الإيمانية والعاطفة الصادقة كانت السبب الرئيس عند كثير من شعراء المديح في استفراغ الوسع واستنفاد جميع الخصائص الأسلوبية والجمالية للخروج بالقصيدة في أجمل حللها أبهى صورها.
- 2 - التأثير المباشر لمظاهر الحب والعشق النبوي على شعراء المديح في استلهام الرؤى الجمالية واللمسات الفنية والقيم والأدبية العالية.
- 3 - التوفيق والمعية الإلهية كانت نقطة فارقة وعلامة مفصلية في المفاضلة بين شعراء المديح وقصائدهم.
- 4 - الأنس برسول الله صلى الله عليه وسلم واستحضار شمائله وصفاته وإمتاع السمع واللسان والروح بها، فتح للشعراء أبواب البلاغة والفصاحة والبيان، ومكنهم من الوقوف على مكامن الحسن والجمال فيها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 01 - ابن رشيق القيرواني، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422 هـ، 2001 م.
- 02 - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد محمود شاكر، مكتبة المدني، مصر، 1974 م.
- 03 - ابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- 04 - ابن مقلّاش الوهراني، شرح البردة البوصيرية، دراسة وتحقيق: محمد مرزاق، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1430 هـ 2009 م، ط1.
- 05 - ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار مصطفى الحلبي، مصر، 1375 هـ، 1955 م.
- 06 - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1429 هـ، 2008 م.
- 07 - أبوطالب بن عبد المطلب، ديوان شعره، جمع وتحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1414 هـ، 1994 م.
- 08 - الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ديوان شعره، جمع وتحقيق: محمد حسن، مكتبة الآداب بالجماميز القاهرة، مصر، ط1، 1950.
- 09 - ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاي، مطبعة مصطفى الحلبي، 1955 م، ط1، ص331.
- 10 - حسان بن ثابت رضي الله عنه، ديوان شعره، شرح وتهميش: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1994 م.
- 11 - كعب بن زهير، ديوان شعره، جمع وتحقيق: علي عافور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 هـ، 1997 م.
- 12 - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب والشعر العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1412 هـ، 1992 م.
- 13 - صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعي، ط1، دار الغد العربي، القاهرة، مصر، 1987.

الهوامش:

- ¹ - أحصى ابن رشيقي القيرواني كثيرا من الأغراض التي تدخل تحت الشعر الوجداني ، فذكر منها النسيب والمدح والفخر والثناء والعتاب والوعيد والإنذار والهجاء والاعتذار. ينظر ابن رشيقي القيرواني ، **كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه** ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج1 ص 110 ، 181 .
- ² - **ديوان أبوطالب بن عبد المطلب**، جمع وتحقيق : محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1994م 1414هـ، ص 49 .
- ³ - **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**، تحقيق : محمد حسن، مكتبة الآداب بالجاميز، القاهرة ط1950، 4، ص 136 .
- ⁴ - ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنَّ القصيدة التي مدح فيها الأعشى النبي صلى الله عليه وسلم، لها قصة مشهورة ، تلتخص في أن الأعشى خرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها، وكان ذلك في المدة التي بين صلح الحديبية سنة 6 وفتح مكة سنة 8، فلما بلغ مكة وعرفت قريش ما قصد له ، لم يزالوا ييغضون إليه الإسلام، ويحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه، ويغرونه بالمال، حتى صدوه عن وجهه، بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفل راجعا إلى اليمامة، ثم لم يلبث أن مات من عامه. ينظر : **كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**، تحقيق : إحسان عباس ، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 1429هـ ، 2008م ، ج 9 ، ص : 9 .
- ⁵ - **ديوان كعب بن زهير** ، تحقيق : علي عافور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1417هـ، 1997م، ص 60.
- ⁶ - للشيخ الحافظ أحمد الشرقاوي إقبال رحمه الله دفين مراكش كتاب اهتم فيه بهذه القصيدة، وذكر من عارضها ومن وشحها ومن خمسها، ومواضع الاستدلال بها في اللغة والبلاغة والنحو وسمى كتابه : " **سعاد في إلمامات شتى** " .
- ⁷ - ذكر ابن هشام أن كعبا وبجيرا ولدا زهير خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان الإسلام حتى بلغا ماء لبني أسد، فقال كعب لبجير الحق الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ماذا يقول ، فقدم بجير على رسول الله فسمع منه وأسلم، فلما بلغ ذلك كعبا قال أبياتا تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعث بها إلى أخيه بجيرا، فرد عليه الأخير بأبيات يدعوه فيها للإسلام ويخوفه من مغبة كفره وعناده وإهدار النبي صلى الله عليه وسلم لدمه، وأن لا مناص له إلا بالإسلام، فندم كعب وارعوى وخاف على نفسه، وقدم المدينة في جوار رجل من جهينة، فدخل المسجد متخفيا حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع يده في يده وكان عليه الصلاة والسلام لا يعرفه، فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير، ثم أنشد قصيدته بانت سعاد، ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وبقصيدته، وأهداه بردته الشريفة. **بتصرف من كتاب السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون .
- ⁸ - ذكر ابن كثير في كتابه السيرة النبوية، أن هذه القصيدة بليغة جدا، لا يستطيع قولها إلا من نسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى. ينظر **كتاب السيرة النبوية لابن كثير**، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ص : 491 .
- ⁹ - يرى أبو عبيد القاسم ابن سلام أنَّ أبا طالب كان شاعرا مجيدا، وأن أروع قصائده لاميته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينظر : **طبقات فحول الشعراء لابن سلام** الجمحي، تحقيق : محمد شاكر المدني، مصر، 1947م ج1، ص : 245.
- ¹⁰ - **ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه**، شرح وتحميش : دار مصطفى الحلبي، مصر، 1375هـ ، 1955م ، ج 2 ، ص : 11.
- ¹¹ - **المصدر السابق** ، ص : 12 .

- ¹² - المدائح النبوية في الأدب والشعر العربي ، زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1412 هـ ، 1992 م ، ص : 11 .
- ¹³ - المصدر السابق ، ص : 12 .
- ¹⁴ - شرح البردة البوصيرية ، ابن مقلاش الوهراني ، دراسة وتحقيق : محمد مرزاق ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج2 ، ص : 188 .
- ¹⁵ - ديوان حسان ، مصدر سابق ، ص : 14 .
- ¹⁶ - العناية والتأييد الإلهي لسيدنا حسان رضي الله عنه في شعره ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، تجلت في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال صلى الله عليه وسلم: أهج قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبال. ومنها ما رواه البخاري من طريق البراء بن عازب رضي الله عنه قال : سمعت حسان بن ثابت يقول : أهجهم أو هاجهم وروح القدس معك. أخرج مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه قال : اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال: أهجهم فهجاهم فلم يرض ، فأرسل إلى كعب ابن مالك، ثم أرسل إلى حسان ابن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آنلكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريشا بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا، حتى يلخص لك نسي، فأتاه حسان ثم رجع فقال : يا رسول الله قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هجاهم حسان فشفي واشتفى، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله .
- ¹⁷ - ديوان البوصيري ، تحقيق : محمد سيد كيلاي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، 1955 م ، ط1 ، ص : 331 .